حرموا على انفسهم دفع الاطعمة والملابس وغيره قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اى لا تقتدوا بها فى اتباع الهوى فانه صريح فى ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم
الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا
وافتراء على الله تعالى وانما الذى نزل فيهم ما فى سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان فى جمع
خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وقرئ
بفتحتين على انها جمع خطوة وهى المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهى اى
ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمى
وليا فى قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء استيناف لبيان
كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وفساده وانحصار معاملته معهم فى ذلك
والسوء فى الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصى
سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء صاحبها
والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون على الحسنا
اى وبان تفتروا على الله بان حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله امر
وتعليق امرهم بتقولهم على الله تعالى ما لا تعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما لا تعلمون
عدمه وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة فى الزجر فان التحذير من الاول مع كونه
فى القبح والشناعة دون الثانى تحذير عن الثانى على ابلغ وجه واكده وللايذان بان
العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن
ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا
واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه المستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن
فى طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم
وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه
الى العقلاء وتفصيل مساوى احوالهم لهم على نهج المثابة اى اذا قيل لهم على وجه
النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذى انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما
الفينا عليه اباءنا اى وجدناهم عليه اما على الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من
اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت فى المشركين
امروا باتباع القرآن وسائر ما انزله الله من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد

والموصول

والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ العجل الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما
باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت فى طائفة من اليهود دعاهم رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا
خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام
وقوله عز وعلا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استيناف مسوق
من جهته تعالى رد لمقالتهم الحمقاء واظهار البطلان ارائهم والهمزة للانكار الواقع
واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كالتى فى قوله تعالى اولو كنا كارهين
وكلمة لو فى امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه
فلا يلاحظ لها جواب قد حذف بدلالة ما قبلها عليه بل هو لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض
من الاحوال المقارنة له بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة ليظهر ثبوته او
انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه
القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى
عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال
المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا
المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والامر والنهى كما فى قولك احسن اليه ولو اساء
اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشى
٥ من ورود الانكار عليه لكن الاصل فى الكل واحد الا ان كلمة لو فى الصور المذكورة
متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان يقصد بيان تحققه على كل حال هو
نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما فى حيز لو باق على
ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل
مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلول المذكور من
حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان
المنوى الاصلى انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما مقارنته لغيرها
لتوسيع الدائرة وان ما فى حيز لو لا يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الاشعار
بانه امر محقق لا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم
لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة اباءهم الى كمال الجهالة والضلالة جهد التحريف بهم

Copyright © King Saud University